

الثورة في بلاد الرافدين

The Revolution in Mesopotamia

Dr. Abbas Ibrahim Saber

University of Al-Hamdaniya- College of
Education

Dr. Jassim Abbas Muhsin

University of Al-Hamdaniya- College of
Education

Dr. Rasha Abdelwahab Mahmood

University of Samarra- College of Arts

د. عباس إبراهيم صابر

جامعة الحمدانية- كلية التربية

د. جاسم عباس محسن

جامعة الحمدانية- كلية التربية

د. رشا عبدالوهاب محمود

جامعة سامراء- كلية الآداب

abbas.ibrahim@uohamdaniya.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الثورة- بلاد الرافدين- التمرد- السومري- البابلية

**Keywords: Revolution- Mesopotamia- Insurgency- Sumerian-
Babylonian**

الملخص

إنّ الثورات التي حدثت في بلاد الرافدين كانت متنوعة منها: الثورات الداخلية التي قام بها سكان بلاد الرافدين ضد ملوكهم، ومنها الثورات الوطنية من قبل سكان بلاد الرافدين ضد المحتلين لتحرير بلادهم من دنس الأعداء، فضلاً عن الثورات والتمردات من سكان البلدان الأجنبية التي خضعت لسلطة ملوك بلاد الرافدين ضد هؤلاء الملوك، وهذا التنوع بالثورات قادنا بالبحث لتناول جميع هذه الحالات ولو بشكل مختصر عن كل حالة ثورة أو ثورتين أو أكثر لبيان هذه الحالات وتوضيحها في بلاد الرافدين، والأمر الذي تبين فيما بعد أن هذا الموضوع واسع لو تم أخذه بشكل مفصل ويتحمل رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.

Abstract

The Revolutions that took place in Mesopotamia were diverse, including: The internal Revolutions carried out by the inhabitants of Mesopotamia against their kings, Including the national Revolutions by the inhabitants of Mesopotamia against the occupiers to liberate their country from the defilement of enemies, As well as the Revolutions and Insurgency of the inhabitants of foreign countries that were subject to the authority of kings Mesopotamia against these kings, And this diversity of Revolutions led us to research to address all these cases, Even briefly, For each case of one Revolution, two Revolutions, or more, To clarify these cases and clarify them in Mesopotamia, Which turned out later that this topic is broad if it is taken in detail and bears a message Master's or PhD thesis.

المقدمة

يتميز بلاد الرافدين بموقع جغرافي واستراتيجي مهم لما يضمه من مقومات أساسية في حياة الإنسان تتمثل في خصوبة الأرض ووفرة المياه وكثرة الخيرات مما جعله محط أنظار الأقوام المجاورة وأطماعها منذ أقدم العصور، وكان هدفاً أساسياً للسيطرة عليه، والاستحواذ على خيراته والاستيطان فيه، فمنذ العصور القديمة تعرضت أرض بلاد الرافدين لهجمات وغزوات مستمرة من جانب الأقوام المجاورة وخاصةً من الجهات الشرقية والشمالية والشمالية الشرقية والجهات الغربية والشمالية الغربية، فضلاً عن الثورات الكثيرة التي كانت تقام ضد حكوماتها، ولم تتفك تلك الثورات أو التمردات والهجمات لاحتلال الأراضي والتعرض على المدن ومنها الحدودية بشكل خاص كلما سنحت الفرصة لتحقيق ذلك.

ومع تقدم العصور واتساع الرقعة الجغرافية لبلاد الرافدين بدأت التهديدات المجاورة تزداد بازدياد نفوذها وأصبح تعرضها لأخطار الثورات جسيمة أكثر من ذي قبل لا سيما في العصرين الآشوري والبابلي الحديثين، إلا أن سكان بلاد الرافدين قاموا بمواجهة تلك المخاطر ولم يستسلموا لموجات التمرد والثورات التي كانت تتعرض لها أراضيهم وعملوا على تحرير بلادهم والمحافظة على استقلالها، إذ يزخر تاريخ بلاد الرافدين بصفحات مشرقة ومضيئة لبطولات الملوك والقادة عبر العصور ممن ساهموا في تحرير البلاد واستعادة الحرية، ليس هذا فحسب بل إنهم قاموا بإخماد العديد من حركات التمرد والثورات التي قامت في الأقاليم التابعة لهم خارج حدود دولتهم وهذا ما عكسته مضامين العديد من النصوص المسمارية المكتشفة.

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية هذه الدراسة لسرد تفاصيل الأحداث الحاصلة آنذاك لموضوع بحثنا "الثورة في بلاد الرافدين"، وقد تطرقنا في هذا البحث على الثورات الداخلية التي قام بها سكان بلاد الرافدين ضد الأقوام الأجنبية أبان الاحتلال لأراضيها أو الثورات التي كانت تقام من قبل سكان بلاد الرافدين للحكم القائم في البلاد (الحكم الوطني) غير الأجنبي، وتناولنا كذلك الثورات الخارجية التي كانت تقام ضد الحكم في بلاد الرافدين من قبل بعض الأقاليم أو المدن التابعة لها، وانتهى البحث بسرد بعض الاستنتاجات التي استعرضناها في نهاية البحث.

الثورة في بلاد الرافدين

الثورة لغةً: الثورُ: مصدرٌ ثارَ يثورُ الثورُ والغبارُ والقَطَا إذا نهَضتْ من مَوْضعها. وثارَ الدَّمُ في وجهه: تَفَنَّتْ فيه، وظَهَرَ.. والمَغْرِبُ ما لم يَسْقُطْ ثورُ الشَّمْسِ، والثورُ: الحمرة التي بعد سقوط الشَّمْسِ لأنها تثورُ، أي: تنتشر. وثورَتُ كدورة الماء، فثار، وكذلك: ثورَتُ الأمرُ. آثاره، أي: هيَجَهُ^(١).

الثورة كمصطلح سياسي: هي الخروج عن الوضع الراهن وتغييره باندفاع يحركه عدم الرضا أو التطلع إلى الأفضل أو حتى الغضب، والثورة تدرس على أنها ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة ما هدفها التغيير وفقاً لأيدولوجية هذه الفئة أو الجماعة، ولا ترتبط بشرعية قانونية، كما تعبر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلى طبقة الثوار.

والفهم المعاصر الأكثر حداثةً للثورة هو التغيير الكامل لجميع المؤسسات والسلطات الحكومية في النظام السابق لتحقيق طموحات التغيير لنظام سياسي نزيه وعادل يوفر الحقوق الكاملة والحرية والنهضة للمجتمع.

والمفهوم الدارج أو الشعبي للثورة المدنية هو الانتفاض ضد الحكم الظالم، أو ثورة عسكرية وهي التي تسمى انقلاباً ضد الحكم^(٢). وهناك عدة أنواع من الثورات في بلاد الرافدين منها:

الثورات الداخلية: يمكننا عرض نماذج من الثورات التي حدثت داخل بلاد الرافدين ومن أهمها ما يأتي:

١- ثورة اوروكاجينا (٢٣٦٥-٢٣٥٧ ق.م.):

لم تكن مطالبة الشعب بحقوقهم إلا مثلاً واضحاً عن الثورة والتمرد، لأنَّ الثورة كانت تبدو أمراً مسلماً به في بلاد الرافدين بقدر ما مثلت واقعاً فعلياً شغل بال السلطة السياسية القائمة آنذاك، لذا فإن أغلبية الملوك الذي لجأوا إلى وضع الشرائع شاءوا أن يجعلوا منها استجابات للثورة، ويتأكد ذلك إذا علمنا أن أغلب الشرائع كانت توضع في أعقاب ثورات متنوعة، وتدرج اصلاحات اوروكاجينا ضمن الشرائع التي كانت تمثل استجابات لمطالب الثوار، فهي تمثل بلا شك وثيقة قانونية تتضمن أوامر لإلغاء قوانين مجحفة بحق الشعب كانت قائمة قبلاً، والاصلاحات الجديدة لم توضع إلا استجابة للثورة التي قادها هذا الكاهن ضد الملك لوكال بندا^(٣).

ليس ثمة شك في أن الثورات قد ثابر عليها سكان بلاد الرافدين القدماء منذ فجر التاريخ، حيث لم يتوانوا في طرح مطالبهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون خوف أو

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، ترتيب وتحيق:

الدكتور عبد الحميد هنداي، مج ١، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٤٠٧.

(٢) تهاى، مروة، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا ٢٠١١ دراسة

انثروبولوجية ميدانية مقارنة، جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص ٧.

(٣) الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد، ١٩٨١، ص ٥٧٨.

وجل، ففي عهد لوكال بندا ملك مدينة لكش كان الوضع الاجتماعي والسياسي سيئاً جداً، ف جاء التغيير على يد الكاهن اوروكاجينا الذي استطاع أن يلبي مطالب السكان بالإصلاح والحرية، تلك المطالب التي بدت واضحة من خلال ما جاء في خاتمة إصلاحات المصلح اوروكاجينا، إذ قال:

"هذا ما أمر به الملك اوروكاجينا، من أجل مواطني مدينة لكش الذين عاشوا حياتهم بالديون، ولكيلا يحدث التلاعب أبداً بالأوزان والمكاييل ولكي تمنع السرقة نهائياً ولكي تظهر الأراضي ولكي يحصل مواطنو مدينة لكش على حريتهم"^(١).

لقد فسّر أحد الباحثين هذه الإصلاحات بأنها إصلاحات ديمقراطية في جوهرها، وأنها موجهة نحو إصلاح أحوال أفراد المجتمع والطبقة الدنيا من الكهنة، لوجود مطالب سياسية دعت إلى هذه الإصلاحات وكان أهم هذه المطالب هي: أن يعيد الحق للمظلومين من الملاحين والرعاة، وينهي بعض الضرائب المجحفة بحق الشعب، وأن يكسب تأييد عامة الشعب والمحاربين، ويكافح الجرائم ويحاسب السراق بالرجم ويحرم زواج المرأة من رجلين في آن واحد، ويقلل التدخلات الخارجية والتي كانت من أهم الأسباب التي قضت على كيان دولة لكش، حيث هوجمت من قبل حاكم مدينة أوما المجاورة وقضى على الملك اوروكاجينا^(٢). لأن المساوي التي حاول هذا الملك أن يقضي عليها تضاربت مع مصالح بعض المتنفذين في الحكم السابق، فضلاً عن تضاربها مع مصالح بعض الكهنة المستفيدين من الضرائب الكثيرة التي كانت مفروضة على الشعب، وجاءتهم الضريبة القاضية من جارتهم العودة مدينة أوما، إذ قضاوا على مدينة لكش في ليلة ظلماء ونهبوا المدينة وأحرقوا المعابد وقتلوا أهلها، وأنهوا حكم اوروكاجينا الذي استمر سبع سنوات ونصف^(٣).

٢- ثورة أوتوحيكال (٢١٢٠-٢١١٤ ق.م.):

أن من أهم ما وصلنا من الثورات الوطنية في النصوص السامرية الثورة التي قام بها شعب مدينة الوركاء بقيادة الملك السومري أوتوحيكال الذي خاض أول معركة تحرير في التاريخ ضد الحكم الكوتي الأجنبي وقام بطردهم من بلاد سومر وأرجاع ملوكية بلاد سومر إلى السومريين، وقد ذكر ذلك في النص الذي خلد لنا هذه الحرب^(٤).

جاءت إعلان الثورة على الكوتيين وتحرير البلاد من احتلالهم من مدينة سومرية عريقة هي مدينة الوركاء التي عرفت بمجد مشرق وأبطال صنابير خلدتهم مآثرهم الحميدة

(١) رشيد، فوزي، اوروكاجينا، بغداد، ١٩٩٧، ص ص ٥٨-٥٩.

(٢) فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة، ترجمة: ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٥٩، ص ٨٩.

(٣) فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة، ص ٩٠.

(٤) الباحث.

وبطولاتهم الفذة من أمثال أينمركار وكلكامش^(١)، وأضيف إلى أسمائهم اللاحقة هذه المرة اسم زعيم سومري آخر هو اوتوحيكال الذي أعلن الثورة على الغزاة الكوتيين، وجنّد لذلك من شعب مدينة الوركاء ومدينة كولاب (*kullab*) جيشاً كبيراً لمقاتلتهم وأثار الحماسة في النفوس^(٢).

ولا يعرف على وجه التأكيد الظروف التي ساعدت هذا الزعيم السومري ومهدت له الطرق لتسلم مقاليد الحكم في مدينة الوركاء^(٣)، إلا أن المنطق يفترض أن تكون هناك عوامل ساعدت وأسهمت في توحيد وتكوين جبهة داخلية قوية كان لها دورها المهم في احراز الجيش السومري النصر الحاسم على المحتلين، ومن هذه العوامل، توفّد مشاعر الحماس في نفوس سكان مدينة الوركاء للتحرر من احتلال الكوتيين الغزاة من جهة، وسوء الأوضاع السياسية والاقتصادية من جهة أخرى^(٤).

ويظهر من دراسة نصوص الوثيقة، أن اوتوحيكال اتخذ من عاصمته الوركاء وضاحتها كولاب مركزاً لتجمع قواته والاستعداد لشن الهجوم على الكوتيين بقيادته^(٥)، وقد نسبت نصوص وثيقة حرب التحرير إلى رغبة الاله انليل لإعادة ملوكية بلاد سومر إلى سومر وتنفيذ أوامره^(٦)، وهو إله السلطة والملوكية في بلاد سومر، عهد إليه مهمة تحطيم الكوتيين^(٧). وهو يصف المحتل الكوتي بأنه:

"أفعى وعقرب الجبال، الذي رفع يده على الآلهة، ونقل ملوكية سومر إلى بلاد أجنبية، وملاً سومر بالعداوة والشر، لقد سلب الزوجة ممن كان له زوجة، وسلب الطفل ممن كان له طفل، وأقام العداوة والعصيان في البلاد....."^(٨).

واستناداً إلى نصوص وثيقة حرب التحرير، يظهر أن أول عمل قام به اوتوحيكال استعداداً لخوض معركته المرتقبة على المحتلين قيامه بزيارة معبد الإلهة الشهيرة أيناينا

(١) علي، فاضل عبد الواحد، "أقدم حرب للتحرير عرفها العالم التاريخ"، سومر، مج ٣٠، ١٩٧٤، ص ١٥٧.

(٢) علي، فاضل عبد الواحد، السومريون والاكديون، بغداد، ١٩٨٣، ص ٧٩.

(٣) علي، فاضل عبد الواحد، "أقدم حرب للتحرير ..."، ص ٥٣.

(٤) علي، فاضل عبد الواحد، "التحديات السياسية والعسكرية ابتداءً من عصر فجر السلالات السومرية حتى نهاية سلالة الثالثة ٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م"، العراق في مواجهة التحديات، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٥.

(٥) علي، فاضل عبد الواحد، "وثيقة حرب التحرير للملك السومري اوتوحيكال ٢١٢٠ - ٢١١٤ ق.م"، الجيش والسلاح، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٥٨.

(٦) سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج ١، جامعة الموصل، ١٩٩١، ص ١٦٦.

(٧) علي، فاضل عبد الواحد، "أقدم حرب للتحرير ..."، ص ٥٤.

(٨) علي، فاضل عبد الواحد، "أقدم حرب للتحرير ..."، ص ٥٤.

(عشتار) (التي كانت مركز عبادتها في مدينة الوركاء)^(١)، للتوسل إليها في تقديم العون والنصر له على خصمه باعتبارها آلهة الحرب والذي وصفها ب:
"لبوة الحرب التي تهاجم بلدان الأعداء"^(٢).

وشرح القائد السومري اوتوحيكال بعد ذلك إلى استتفار رجال مدينة الوركاء ومدينة كولا ب المحاربين^(٣)، وخاطبهم قائلاً:

"لقد اعطاني انليل "الكوتي" هذا وجعلت أينا، ملكتي وعوني، قدرتي بعهدة الإله دموزي (تموز)، وجعلت لي كلكامش بن نسون حامياً، وعندئذ تملك الفرع أبناء مدينة الوركاء وكولا ب، فتبعوه جميعاً وكأنهم رجل واحد"^(٤).

هذا وكان أوتوحيكال يتوقف في كل مسافة وهو في طريقه إلى المعركة ليقدم الصلوات والقرابين إلى الآلهة في معابدها^(٥)، وقد ورد في النص أن جيوش اوتوحيكال وصلت بعد أربعة أيام من مسيرتها من الوركاء إلى موضع يعرف باسم نكسو (Nagsu)^(٦)، الذي يقع على نهر يسمى إتورنكال (Iturngal)^(٧).

وفي اليوم الخامس من مسيرة الجيش السومري بدأ الاحتكاك العسكري بينه وبين الجيش الكوتي الذي كان بقيادة الملك تريكان (Tirigan)^(٨). أما اوتوحيكال فقد وصل في

(١) علي، فاضل عبد الواحد، وثيقة حرب التحرير ...، ص ١٥٨.

(٢) علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٤.

(٣) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦، ص ٣٧٨.

(٤) علي، فاضل عبد الواحد، وثيقة حرب التحرير ...، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٥) علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٤.

(٦) نكسو (Nagsu): هي مدينة سومرية قديمة لا يعرف موقعها في الوقت الحاضر، ويفترض أن تكون تل الناصرية الحالي هي مدينة نكسو القديمة، ينظر: علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٥.

(٧) اوتورنكال (iturngal): وهو النهر الذي كان يمثل الفرع الشرقي لنهر الفرات القديم، وكان يمر بمدينة أدب (بسمايا) ثم مدينة أوما (جوخة) ومن ثم يتجه بعد ذلك نحو الجنوبي إلى بادتبير، ثم ينحرف غرباً إلى مدينة لارسا (السنكرة)، وكان يتفرع من نهر اوتورنكال أيضاً فرع إلى الشمال من أوما فيمر في مدن سومرية رئيسة مثل زالم (ابزيخ)، كيرسو (تلو)، لكش (الهباء) وننّا. وإذا ماصحّ الافتراض القائل بأن تل الناصرية هي مدينة نكسو، فمعنى ذلك أن الجيوش السومرية الزاحفة بقيادة اوتوحيكال كان لابد وأن عبرت هذا النهر لتصل إلى هذه المدينة الواقعة على الضفة الشرقية منه، ينظر: علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٥.

(٨) علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٥.

هذا اليوم إلى معبد ايلي تبا (Ili - Tabba)^(١)، وألقى القبض على ضابطين هما اور- ننازو (Ur-Ninazu) ونابو - انليل (Nabu-Enlil) المبعوثين من قبل الملك الكوتي تريكان لغرض غير مذكور في الوثيقة^(٢)، إلا أنه يبدو أن مهمة هذين المبعوثين كان الهدف منه هو التأثير على معنويات الجيش السومري وإقناعهم بعدم جدوى مقاومة الاحتلال^(٣).

وفي اليوم السادس وصل الجيش السومري بقيادة اوتوحيكال إلى مدينة تعرف باسم كار كار (Kar-Kar)، والتي ما يزال موقعها غير معروف حتى الآن^(٤)، وكل ما يعرف عن هذه المدينة أنها كانت ذات موقع عسكري^(٥)، وأنه قدّم الصلوات إلى الإله أوتو (شمش)، وسأله العون على أعدائه الكوتيين^(٦)، وتوجّه منها إلى مدينة أداو وجرت المعركة الفاصلة بين الجيش السومري والجيش الكوتي الذي كان بقيادة تريكان عند هذه المدينة^(٧)، إذ تذكر الوثيقة أن الجيش السومري خاض معركة ضارية استطاع في النهاية أن يحرز نصراً حاسماً على الجيش الكوتي^(٨)، مما اضطر الملك الكوتي وعائلته إلى الفرار واللجوء إلى مدينة دبروم (Dubrum)^(٩)، ويقول القائد السومري المنتصر في وصفه لحالة الملك الكوتي المهزوم:

"ولم يستفد شيئاً من ابتهاله للآلهة لتكون عوناً له، وبقي دعاؤه دون جدوى ... فأسره الأمير السومري مع زوجته وكفله ... وداس على رقبته ..."^(١٠).

وأن سكان مدينة دبروم كانوا يعلمون أن القائد اوتوحيكال قد جاء إلى الحرب بأمر من الإله إنليل بحيث أنهم لم يقدموا أي عون أو مساعدة للملك الكوتي، بل سرعان ما ألقوا القبض على تريكان مع أفراد عائلته وسلموه إلى اوتوحيكال^(١١)، وتختتم الوثيقة بالنص الآتي:

(1) Gadd, C.J., "The Danasty of Agad and Gutian Invasion", CAH, Vol. I, Cha.19, Cambridge, 1963, p. 462.

(٢) علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٥.

(٣) باقر، طه، المقدمة، ج ١، ص ٣٧٨.

(٤) علي، فاضل عبد الواحد، وثيقة حرب التحرير ...، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٥) علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٥.

(6) Gadd, The Dynasty of Agade, p. 462.

(٧) علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٥-٥٦.

(٨) علي، فاضل عبد الواحد، التحديات السياسية والعسكرية ...، ص ٢٦.

(9) Gadd, The Dynasty of Agade, p. 462.

دبروم: ربما كانت (تل جدر حالياً) الذي يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة أوما (جوخة)، ينظر: علي، فاضل عبد الواحد، أقدم حرب للتحرير ...، ص ٥٦.

(١٠) سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م.، دمشق، ١٩٨٥، ص ١٤٣.

(١١) مورتكات، انطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق، ١٩٦٧، ص ١٠٦.

"لما جيء بتريكان أمام اتوحيكال ألقى بنفسه عند قدميه فوضع اتوحيكال قدمه على رقبته وبذلك أعاد ملوكية سومر إلى بلاد سومر"^(١).

تعبيراً عن اندحاره وهزيمته، وإزاء هذا النصر الذي حققه اتوحيكال على الكوتيين أعترف به ملكاً على بلاد سومر وأكد، ونسب إليه تأسيس سلالة سومرية في مدينة الوركاء عرفت بسلالة الوركاء الخامسة^(٢).

٣- ثورة ايلوما - ايلو:

إن قيام الإمبراطورية البابلية القديمة (١٨٩٢-١٥٩٥ ق.م) تمثل مرحلة مهمة من مراحل التطور السياسي في بلاد الرافدين^(٣).

بعد وفاة حمورابي (١٧٥٠ ق.م) ازدادت الثورات الانفصالية، ولعل في طبيعتها تلك الثورة التي نشبت في أحد الأقاليم المتاخمة لبلاد عيلام والتي دامت سنتين^(٤)، وظهرت في تلك المرحلة بوادر قيام دول المدن من جديد، فقد استطاع (ايلوما . ايلو) أن يثور ويستقل في المناطق الجنوبية من البلاد مؤسساً بذلك سلالة تعرف بـ(سلالة القطر البحري)^(٥)، ولكن الخطر الأكبر جاء من جهة أخرى هو الخطر الخارجي الذي تمثل بالكشيين^(٦)، فقد استطاعوا من السيطرة على بابل بعد انسحاب الحثيين منها، وبذلك أسسوا سلالتهم المسماة سلالة بابل الثالثة^(٧).

حكم الكشيون بلاد الرافدين عدة قرون وهم أقلية، لكنهم استطاعوا القضاء على آخر ملوك سلالة بابل الثانية (سلالة القطر البحري) على يد الملك (أولام - بورياش) وبذلك عادت الوحدة السياسية للبلاد^(٨).

(١) علي، فاضل عبد الواحد، وثيقة حرب التحرير....، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) علي، فاضل عبد الواحد، التحديات السياسية والعسكرية...، ص ٢٦.

(٣) باقر، طه، المقدمة...، ص ٤٢٤-٤٣٩.

(٤) حدثت هذه الثورة في عهد الملك سمسو ايلونا (١٧٤٩-١٧١٠ ق.م) بقيادة ريم - سين

وهو غير ريم - سين ملك لارسه الذي قضى عليه الملك حمورابي، ينظر: رو، جورج،

العراق القديم، ترجمة: حسين علوان، بغداد، ١٩٨٤، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٥) سلالة القطر البحري هي سلالة بابل الثانية (١٧٤٠-١٥٠٠ ق.م) للمزيد ينظر: باقر،

طه، المقدمة....، ص ٤٣٣.

(٥) الأحمد، سامي سعيد، "فترة الحكم الكاشي، سومر، مج ٣٩، ج ١-٢، بغداد، ١٩٨٣،

ص ١٣٤-١٥٤.

(٧) باقر، طه، المقدمة....، ص ٤٤٦.

(٨) الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي...، ص ١٠٢.

٤- ثورة آشور - دان - ايلي:

اعتلى شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) عرش آشور خلفاً لوالده آشور - ناصر - بال الثاني وكان عليه أن يعيد النظام في الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية لبلاد آشور التي طالما اقلقت ملوك آشور بإثارتها الفتن والاضطرابات وحركات التمرد التي دفعت شلمنصر الثالث بتوجيه حملة عسكرية عام (٨٣٠ ق.م) لإعادة النظام إلى هذه المنطقة التي كان قد اخضعها والده خلال أعوام (٨٨١ - ٨٨٠ ق.م) ضد اقليم زاموا^(١)، وقد توجهت قواته نحو مدينة كرخي (*Kir i*) الواقعة جنوب مقاطعة زاموا لتأديب تلك القبائل الجبلية والقضاء على الاضطرابات واعادة نشر النظام في هذه المناطق، وقد تمكنت القوات الآشورية من اقتحام المنطقة وتحطيم قوة المتمردين وفرض السيادة الآشورية^(٢)، وشهدت بلاد آشور في الأيام الأخيرة من حكم شلمنصر الثالث ثورة داخلية قادها أحد أبنائه المدعو آشور - دان - ايلي، وعمت الفوضى البلاد فأفقدتها الكثير من الاقاليم التي كانت تابعة لها^(٣).

إذ عهد مهمة القضاء عليها إلى ابنه الأصغر شمسي - أدد الخامس، الذي لم يتمكن من القضاء عليها إلا بعد أربع سنوات مات خلالها الملك شلمنصر الثالث واعتلى شمسي - أدد الخامس (٨٢٣ - ٨١١ ق.م) العرش الآشوري^(٤)، وسعى إلى اعادة الهدوء وتخفيف ضغط قبائل الاورارتو التي سادت الفوضى مناطقها فقاد حملة عسكرية لإظهار قوته أولاً واعادة النظام إلى الاقاليم التي سادتها الفوضى والاضطراب واعلنت خروجها عن سيطرة بلاد آشور ثانياً^(٥).

٥- ثورة أرداد - موليشي:

وهي الثورة التي قادها أرداد- موليشي ضد والده سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م)، بينما كان ولي العهد ما يزال على قيد الحياة، فقد حصل أخوته بشكل ظاهري على اليد العليا على اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) ولكن في الواقع لم يكن لديهم فرصة شرعية للاستيلاء على العرش^(٦)، وسرعان ما وجدوا أنفسهم في مأزق كبير فقد بقي اسرحدون ولياً للعهد ولا يوجد شيء يمكنهم القيام به بما أن موقف الملك سنحاريب بقي بلا تغيير، كما أن اسرحدون نفسه

(١) اقليم زاموا: يعدّ هذا الاقليم مقراً للقبائل الجبلية التي يشكل الكوتيون والكشيون جزءاً منها

ويعود تاريخ هذه القبائل في هذه المنطقة إلى العصر الأكدي، ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ص ٣٦٩.

(2) Smith, S., The Foundation of the Assyrian Empire, CHA, Vol. 3, 1954, p. 24.

(٣) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

(٧) رو، العراق القديم، ص ٤٠٠.

(٥) القصير، احمد لفته، "الفعاليات الآشورية في آسيا الصغرى"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠١، ص ١٢٢.

(6) Nissine, M., References to Prophecy in Neo - Assyrian Sources, SAA, Vol. VII, Helsinki, 1998, p. 21.

كان بعيد المنال في الأقاليم الغربية^(١)، فتنامى شعور اليأس عند الأخوة بشكل كافٍ لإتمام مخططاتهم الشريرة من خلال الهجوم المفاجئ في العشرين من شهر (ebetu)^(٢)، إذ قُتل سنحاريب من قبل أُرَاد - موليشتي، ويخبرنا النص الآتي تأريخ هذه الأحداث:

"في اليوم العشرين من طيبتو سنحاريب ملك آشور قُتل من قبل ابنه بتمرد بعد أن حكم آشور أربعة وعشرين عاماً واستمر التمرد في آشور من اليوم العشرين من شهر طيبتو إلى اليوم الثاني من شهر آذار (Adaru) وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر آذار اعتلى ابنه اسرحدون عرش آشور"^(٣).

ويروي اسرحدون بهذا الصدد عنهم أنهم صاروا من بعد ذلك:

"يناطح أحدهم الآخر مثل الماعز الصغير لأخذ الملوكية"^(٤).

وقام اسرحدون بإخماد الثورة وحقق النصر النفسي له ولجنوده بخلاف أخوته قتلة أبيه الذين لم يحصلوا على رضا الآلهة فكانت قضيتهم غير عادلة وولاء جنودهم مشكوكاً فيه، فتحرك بخفة من الاتجاه الغربي ضد قتلة أبيه دون الانتظار للمرور بالأسلوب الاعتيادي في إعداد وتجهيز جيشه لحملة طويلة^(٥)، فلم يجر أي مراسيم لتفتيش الجيش أو تهيئة العدة، وإنما انطلق بقواته على الرغم من برودة المناخ راجعاً إلى نينوى^(٦)، فيما استعد الجيش الآشوري الرئيس لمقاومة اسرحدون في منطقة نصيبين^(٧)، وحدث هناك قتال شديد، وانتشر في وسط المعركة قول (هذا هو ملكنا)^(٨)، وسرعان ما حدث شقاق بين قوات أعدائه إذ أعلن قسم منهم انضمامهم لاسرحدون^(٩)، فيما قدم شعب آشور الطاعة وغدا العرش مضموناً له^(١٠)، وبالمقابل

(1) Parpola, S., The Murderer of Sennacherib's Death in Mesopotamia Copen hagen studies in AssyriaLogy, 8, Copentiagcn, 1980, p. 175.

(٢) شهر طيبتو: هو الشهر العاشر من السنة الآشورية، إذ اتبع الآشوريون في تقويمهم التقويم البابلي نفسه، إذ كان شهر نيسان لديهم يمثل بداية السنة وعملوا على تقسيم السنة إلى فصلين كل فصل يضم ستة أشهر يبدأ الفصل الأول في منتصف شهر نيسان وينتهي في منتصف شهر تشرين الثاني أما الفصل الثاني من السنة فيبدأ من النصف الثاني من شهر تشرين الثاني وينتهي في النصف الأول من شهر نيسان، ينظر:

Langdon, J., Babylon Menobgies and the Semitic calendars, London, 1935, p. 100.

(3) Grayson, A. K., Assyrian and Babylonian Chronicles, New York, 1975, p. 81-82.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، ج ١، ص ٥٢١.

(٥) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٥٤.

(6) Rogers, R. W., Cuneiform Parallels to the Old Testament, New York, 1927, P. 349.

(٧) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٥٤.

(٨) ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩، ص ١٥٢.

(٩) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٥٤.

(١٠) ساكز، هاري، قوة آشور، ص ١٥٢.

فقد أراد - موليشي الكثير من مواليه وأنصاره ولم يفعل شيئاً في النهاية غير الهرب إلى أرض غير معروفة فانتزع اسرحدون العرش من أخوته المتمردين^(١)، ثم عبر أخيراً نهر دجلة فدخل نينوى ظافراً في شهر آذار، وجلس على عرش والده^(٢)، ولقى المتورطون في التمرد نهايتهم الاعتيادية^(٣).

الثورات البابلية ضد الاحتلال الأخميني (٥٣٩-٣٣١ ق.م.)

لا يخفى على الباحثين أن الغزاة مهما تسامحوا مع البلدان المحتلة فإنه لا يمكن تقبلهم كسلطة حاكمة في البلاد، ومهما كانت محاولات الأخمينيين في كسب رضا رجال الدين أو الشعب البابلي لتقبلهم كملوك عليهم فإن البابليين لم يرضخوا لهم بشكل مطلق، والدليل على ذلك قيام البابليين بثلاث ثورات وطنية ضد الاحتلال الأخميني، نبدأها بالثورة الأولى:

ثورة بابل الأولى

كانت ثورة بابل الأولى عام (٥٢٢ ق.م.) أولى الثورات التي اندلعت في بلاد بابل ضد الاحتلال الأخميني، وهذه الثورة لم تأتي من فراغ وإنما من تراكمات عدة منها سياسية فظرة البابليين للأخمينيين كانت نظرة غزاة وأدركوا الفرق بين كورش الأخميني والملك البابلي نبونائيد^(٤)، إذ تخبرنا وثيقة الأخبار البابلية وفاة زوجة الملك نبونائيد:

"في اليوم ... من شهر أراخشامنو ماتت زوجة الملك، من اليوم السابع والعشرين لشهر اراخشامنو إلى اليوم الثالث من شهر نيسان أقيمت مناحة رسمية في أكد، كل الناس ذهبوا إلى مكان المناحة وشعورهم شعثة"^(٥).

نستنتج من هذا النص أن البابليين كانوا متأثرين بوفاة زوجة الملك نبونائيد لدرجة أنهم استمروا بالنواح والبكاء لمدة ستة أيام، وهذا دليل على عمق الترابط بزمن ملكهم الوطني، ومن التراكمات الاقتصادية التي أتصفت بسياسة ابتزاز الموظفين لأموال المواطنين البابليين ومن وطأة الضرائب المفروضة عليهم، ومنها سياسة ملوك الأخمينيين تجاه البابليين التي أتسمت بسياسة المحتل وسرقة أموال المعابد، وهذا ما دفع البابليين إلى القيام بثورة ضد الاحتلال الأخميني التي أنظمت تحت لواء زعيم الثورة ندينتو - بيل الذي أعلن ملكيته على بلاد بابل، وأطلق على نفسه اسم نبوخذ نصر الثالث، وقد يكون أحد أقرباء الملك نبونائيد، ووصل خبر الثورة إلى الملك دارا الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م.) وأفزعته، فقد جيشاً لإخماد الثورة، ويبدو أن قائد الثورة قد سيطر على معابر نهر دجلة، وشكل قوة نهريّة لهذا الغرض، وكانت خطته

(١) ول، ديوارنت، قصة الحضارة، مج ١-٢، مصر، ٢٠٠١، ص ٢٦٩.

(٢) رو، جورج، العراق القديم، ص ٤٣٣.

(٣) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص ١٥٥.

(٤) يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق الأدنى القديم دراسات وأبحاث، بغداد، ٢٠١٥، ص ١٦٩.

(5) Oppenheim, A. L., "Text from the Accession year of Nabonaidus to the Fall of Babylon", ANET, Princeton, 1966, p. 306.

محكمة، إذ استطاع من منع جيوش الأخمينيين من التقدم ضده، وركّز جيوشه على الضفة اليمنى لمنع عبور جيوش الأخمينيين إلا أن الجيوش الأخمينية تمكنت من عبور النهر وسارت باتجاه بابل، وأوقع الجيش الأخميني هزيمة بالثوار، وبعد أن وصل الجيش إلى قرية زازانا على الفرات حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام قوات ندينتو- بيل، فدحره دارا الأول وانسحب الثوار إلى بابل، وتحصنوا بأسوارها^(١)، ويذكر لنا دارا الأول أحداث هذه الثورة في نقش بهستون، إذ يقول:

"رجل اسمه ندينتو- بيل بابلي ابن أنيري تمرد في بابل وكذب على الناس بما يلي: أنا نيوخذ نصر بن نيونائيد فوقف الشعب البابلي كله إلى جانب هذا الرجل، وهجموا على كل بابل، وسلموه السلطة على البابليين، فأرسلت مبعوثي إلى سوسة، وألقيت القبض على أرشينا، ثم زحفت إلى بابل ضد ندينتو- بيل ...، وكان جيشه على نهر يقال له دجلة! ... فوضعت رجالي على القرب، وآخرين على الجمال، وآخرين على الخيل، وعبرنا دجلة ... وضربت جيش ندينتو- بيل، ثم زحفت إلى بابل، وكانت هناك مدينة في الطريق أسمها زازانا (زازانو) وقد لجأ إليها ندينتو- بيل مع جيشه استعداداً لمحاربتي، فتحاربنا فضربت جيشه بقوة؛ وجرف الماء العدو"^(٢).

ونلاحظ عند هيروودوت معلومات أخرى عن الثورة، إذ يقول: إن دارا قد هاجم بابل، وكان البابليون يشتمون دارا ويسخرون منه ومن جيشه، وحاصر المدينة والبابليين لمدة سنة وسبعة أشهر، وفي الشهر الثامن بعد سنة من الحصار أقترح القائد زوبيروس بن ميكابيسوس على دارا بأن يقوم بخديعة البابليين لاحتلال مدينتهم، وأن يقوم بضربه ضرباً مبرحاً ويرسله إلى أهل بابل ليؤمهم الآخرين بهربه من سيده الفارسي غاضباً ولجؤه إليهم، ويذكر هيروودوت أن البابليين أنظلت عليهم الخديعة، وأنهم منحوه قوة من الجند والذي تمكن بهم من فتح الأبواب لدارا وبذلك دخل الفرس إلى بابل^(٣).

لا يمكن الأخذ بكل معلومات هيروودوت؛ لأن الحصار على بابل لم يستمر سنة وثمانية أشهر حسب روايته بينما استمرت الثورة بمدتها قرابة الأربعة أشهر، أي: من (٣) تشرين الأول ٥٢٢ ق.م. إلى ٢٢ كانون الثاني ٥٢١ ق.م.)، إذ عثر على نصوص مسمارية مؤرخة باسم ندينتو- بيل من هذه المدة، وأخذت التواريخ تذكر بعد هذه المدة عبارة: "السنة التي بدأ فيها دارا ملك بابل ملك الأقطار"^(٤).

(١) يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق ...، ص ١٧٠.

(2) Olmstead, A. T., History of Persian Empire, Chicago, 1948, p. 112; الأحمد، سامي سعيد، "الصراع خلال الالف الأول قبل الميلاد (٩٣٣-٣٣١) ق.م." بحث ضمن كتاب الصراع العراقي - الفارسي، بغداد، ١٩٨٣، ٨٣-٨٤.

(3) Herodotus, The Histories of Herodotus, Translated Harry Carter, III, London, 1962, p. 150-160.

(4) Cameron, G. G., "Darius and Xerxes in Babylonia", AJSL, VIII, 1941, p. 318.

ومن جهة أخرى ليس من المنطقي أن يدعم البابليين زوبيروس بقوة من الجند لمجرد أنهم وجدوه مضروباً من سيده دارا وجائهم لاجئاً، وهل يعقل أن الجند سيساعدون زوبيروس لفتح الأبواب لدارا بعد معرفة نواياه!، وعلى أي حال لقد دخل دارا وجيشه مدينة بابل وقتل الثائر ودمر أسوار المدينة وبواباتها وقتل ما يقارب من (٣٠٠) شاب من أهل المدينة^(١).

ثورة بابل الثانية

بعد سبعة أشهر بالضبط من ثورة بابل الأولى ثارت المدينة مرة ثانية في شهر آب من سنة (٥٢١ ق.م.) في الوقت الذي كان فيه دارا في ميديا، إذ قاد الثورة رجل يدعى أراخا بن خلديتا الذي تلقب بلقب ملك بابل، وسمى نفسه نبوخذ نصر الرابع بن نبونائيد، وكان دارا يسميه بالأرمني، وبدأت الثورة في دوبالا التي تقع جنوب مدينة بابل، فأرسل دارا قواته لإخمادها^(٢)، ويذكر دارا تفاصيل الثورة في نقش بهستون، إذ يقول: أنه أرسل أحد قادته المدعو فندفارنا لإخماد الثورة، إذ نقرأ فيه:

"قلت له سر إلى الأمام، قاتل هذا الجيش الذي يرفض أن يتبعني، فزحف فندفارنا بجيشه ومنحني أهوارمزدا عونه وبياراته قاتل فندفارنا البابليين وأسرههم ويعد انقضاء (٢٢) يوماً في سهل مركزانا، ألقى القبض على أراخا والنبلاء أنصاره، عند ذلك أصدرت أوامري يجب خوزقة أراخا وأتباعه في بابل"^(٣).

قتل أراخا بن خلديتا في اليوم (٢٧) من تشرين الثاني سنة (٥٢١ ق.م.) بعد قرابة أربعة أشهر من اندلاع الثورة حالها حال الثورة الأولى، ودخل الأخمينيون مدينة بابل، ونهبوا المدينة، وسرقوا قبور الملوك ودمروها، وتذكر المصادر أن (٣٠٠٠) رجل بابلي خُزقوا عقاباً على ثورتهم^(٤).

ثورة بابل الثالثة

بقيت ولاية بابل هادئة بعد قمع الثورة الثانية بوحشية من قبل دارا طوال فترة حكمه، بالرغم من أن المعلومات تشير إلى وجود اضطرابات في بابل في أواخر عهده، ويبدو أن هذه الاضطرابات والتراكمات تحولت إلى ثورة في عهد الملك أحشويرش الأول (٤٨٦-٤٦٥ ق.م.) بعد (٤٩) سنة من اخماد الثورة الثانية في بابل، إذ قاد الثورة الثالثة رجل بابلي اسمه بيل - شيماني، والذي اتخذ لقب ملك بابل فضلاً عن لقب ملك البقاع، ووصلتنا نصوص مؤرخة باسمه في دلبات وبورسيبا تدل على زعامته للثورة^(٥)، وتذكر النصوص اسم رجل آخر

(١) يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق ...، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق ...، ص ١٧٢.

(٣) رو، جورج، العراق القديم، ص ٥٤٦-٥٤٧.

(٤) يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق ...، ص ١٧٢.

(٥) يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق ...، ص ١٧٢-١٧٣.

كثائر يدعى شمش - أربيا، وهناك من يرى من الباحثين أن بابل ثارت مرتين في هذه المدة^(١)، إلا أن باحث آخر يرى أن ملكان حكما مدينة بابل بالتعاقب^(٢)، وهناك من يرى أن الثوار انقسموا إلى قسمين ووقع نزاع بينهما انتهت لصالح شمش - أربيا دون معرفة ظروف ذلك النزاع، ويستنتج من الأحداث التالية أن الانقسام الذي حدث بين الثوار سهّل على الملك الفارسي ضرب الثورة^(٣)، ولا يمكن البت في أي من الآراء هذه هي الأصح؛ لقلة المعلومات المتوفرة بين أيدينا في الوقت الحالي، إلا أن التتقيات المستقبلية يمكن أن تكتشف لنا نصوص ترجّح الرأي الأصح، وتمكن أحشويرش من اخماد الثورة، وكان الاخماد الأخير أكثر وحشية من اخماد الثورة الثانية، فقام بتعذيب وذبح الثوار بشكل فضيع، وسوّى أسوار المدينة والمعابد، وأخذ تمثال الإله مردوك الذهبي وأذابه، وتوقفت احتفالات الأكيّو، وتخلّى أحشويرش عن لقبه ملك بابل^(٤).

الثورات الخارجية: نقصد بها الثورات التي كانت تحدث في الاقاليم التابعة لإحدى الامبراطوريات القائمة في بلاد الرافدين، والغاية منها هي الانفصال من الحكم المركزي، وعدم دفع الهدايا والاتاوات والضرائب المفروضة عليهم، وفيما يأتي ذكر لنماذج من هذه الثورات:

١. ثورة مدينة حماة:

إنّ الملك سرجون الثاني الذي اعتلى العرش عام (٧٢١ ق.م) قضى السنوات الأولى من حكمه في معالجة المتاعب داخل وخارج الدولة الآشورية مثل عيلام ووضع حداً لتدخلات بلاد مصر في الشؤون الداخلية للأقاليم السورية والفلسطينية وتحريض أهلها للتمرد ضد الحكم الآشوري^(٥).

ومنذ أن اعتلى سرجون العرش سار على سياسة الهجوم التي تبناها تجلات بليزر الثالث^(٦)، ففي الجبهة الغربية تمردت بعض المدن السورية و الفلسطينية ضد الحكم الآشوري مستغلة فرصة اعتلاء سرجون العرش وتزعمت حماة حلفاً عسكرياً بمساندة مصر وغزة ضد الآشوريين بقيادة ملكها اياؤ-بئدي (*Ia'u-bi'di*) وقد أغوى ملك حماة الذي كان مشغولاً في

(١) سعيد، مؤيد، "العراق خلال عصور الاحتلال"، بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٣٩.

(٢) رو، جورج، العراق القديم، ص ٥٤٧.

(٣) الأحمد، سامي سعيد، الصراع...، ص ٨٦.

(٤) يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق...، ص ١٧٣-١٧٤.

(٥) باقر، طه، المقدمة...، ص ٥١١-٥١٢.

(٦) مورنكات، انطوان، تاريخ الشرق...، ص ٣٠٣.

تنظيم ثورة الأقاليم وتجهيزها مثل ارباد ودمشق والسامرة^(١)، إذ نقرأ في أحد النصوص المسمارية:

"اياؤ-بندي الحماتي وهو أحد الاتباع وان لم يكن يبدو عليه انه يطمح إلى العرش إلا أنه حثي شيرير، كان يخطط في سرية بأن يصبح ملك حماة، حشد مدن ارباد، السامرة، دمشق، وساميريا ضدي إذ وحدهم (جعل كلمتهم واحدة) واعدة للمعركة"^(٢).

فجهز الملك سرجون الثاني حملة عسكرية في عام (٧٢٠ ق.م) لضرب المتمردين وقد تحرك لقمع هذه الثورة وإلقاء القبض على رأس التمرد اياؤ-بندي الحماتي عند مدينة القرقار، وأسره مع عائلته وقد خلد هذا الانتصار في منحوتة جدارية في مدينة خورسباد العاصمة التي بناها له في شمال مدينة نينوى، فقد وضعت حماة تحت سيطرة الحاكم الآشوري بعد دفع الاتاة واستخدم سرجون قسماً من جندها وادخلهم ضمن تشكيلات الجيش الآشوري مع ترحيل قسم آخر منهم وبالمقابل فقد رحل إليها أقوام آخر^(٣).

وقد أحرز الملك سرجون الثاني الانتصارات على التمردات والثورات التي حدثت في سورية وفلسطين بتحريض من حاكم غزة ومصر، وأنقذ طرق التجارة الآشورية المتوجهة من سوريا بمحاذاة ساحل البحر المتوسط إلى غزة، ووصل الملك الآشوري إلى الحدود المصرية عند مدينة رفح ليعلم انتهاء التمرد^(٤).

٢. ثورة مدينة صور:

على الرغم من الإجراءات التي اتخذها الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) في احدى المعاهدات، إلا أنها لم تمنع من حدوث أعمال العصيان والثورة في المدن الفينيقية، إذ انتهزت مدينة صور فرصة الصراع بين مصر وآشور واتحدت مع طهرقا ملك مصر معلنة الثورة على المملكة الآشورية التي وسعت من نفوذ ملكها بعل، وعلى الفور توجهت حملة آشورية لضرب المتحالفين ملك مصر وملك صور، وقد حاصرت القوات الآشورية في بداية الأمر مدينة صور التي منع عنها الامدادات حسب ما جاء في نص حملته العاشرة:

"... أقمت في أثناء حملتي سد ترابي لمحاصرة بعل ملك صور الذي وثق في صاحبه طهرقا وعلى ذلك خلع على نفسه ولاء سيدي آشور، وقد أجاب على تحذيراتي

(1) Cowley, A.E., The Hittites, London, 1918, p.17.

(2) Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, ARAB, Vol. II, New York, 1926 – 1927, p. 26-27; p. 70.

(3) Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and , ARAB, Vol. II, p. 3.

(٤) فرحان، وليد محمد صالح، "العلاقات السياسية للدولة الآشورية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص ٩٥-٩٦.

بوقاحة، فمنعت عن الساكنين في صور المحاصرة الطعام والماء العذب (الحلو) اللذين يبقيان على الحياة"^(١).

يتضح من ترجمة النص أن الملك الآشوري لاقى مقاومة من صور مما جعله يترك صور ويتجه إلى مشروعه الأكبر فتح مصر^(٢)، ولكن كما يبدو ونتيجة للحصار استسلمت صور للملك الآشوري وقدم ملكها هدايا الولاء للملك الآشوري الذي أبقاه حاكماً على جزيرة صور فقط^(٣)، دون المدن التابعة له في البر التي تبعها الملك سنحاريب لبعل في السابق، ويبين الملك سنحاريب ذلك في إحدى نصوص حولياته بقوله:

"استوليت على صور التي هي وسط البحر وجردت ملكها بعل الذي وثق في طهرافا من مدنه وممتلكاته التي كانت على الأرض أخذتها منه ... وأقمتها وجعلتها داخل حدود آشور"^(٤).

يشير ترجمة النص أن الملك الآشوري عمل إلى جانب محاسبة مدينة صور مهاجمة مصر، ليضع حداً لتدخلها في شؤون الساحل الفينيقي فتمكن من دك أسوار مدينة منف (منفيس) المقر الملكي لطهرافا والاستيلاء عليها عام (٦٧١ ق.م)، فأعلن حكام الأقاليم المصرية خضوعهم للملك الآشوري ودفعوا الجزية له، وقد نقش الملك سنحاريب انتصاراته هذه على نصب تذكاري وجد عند نهر الكلب بالقرب من بيروت يروي فيه خبر استيلائه على منف (منفيس)، فضلاً عن الاستراتيجية التي أتبعها الملك سنحاريب لجمع الأقاليم في حكم مركزي حول مملكته وربط الحكام الموالين له بمعاهدات تبعية^(٥)، ونقش في نصب آخر مشابه له عثر عليه في زنجرلي (سمأل) شمال سوريا، يظهر فيه الملك سنحاريب واقفاً وممسكاً بجبل يربط به بعل صور وطهرافا مصر من الأنف^(٦).

(1) Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and, ARAB , Vol. II, p. 219 ,No. 550.

(٢) عبد الكريم، هديب حياوي، "دور حضارة العراق القديم في بلاد الشام"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٢، ص١٩٦.

(٣) عصفور، محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، بيروت، ١٩٨١، ص٤٤.

(٤) الفنلاوي، أحمد حبيب، "اسرحدون ٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦، ص١٣٩.

(٥) الصالحي، رافد كاظم، "حقيقة الوقائع التاريخية بين عرقي التوراة ومعالجة النصوص العراقية القديمة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ١٩٩٩، ص٨٦.

(6) Markoe, G., Phoenicians, London, 2000, p. 46.

٣- ثورة شمشي - شوم - اوكن:

اعتلى الملك آشور بانبيال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م.) عرش بلاد بابل، وكان لذلك أثر فعال في نفس أخيه الأكبر شمش - شوم - اوكن، الذي كان يتوقع أن يكون على عرش بلاد آشور، لا سيما بعد وفاة أخيه الأكبر سين - أدينا - ابلا، فأخذ الحقد يتأجج في صدر شمش - شوم - اوكن من دون جدوى، وأعتلى شمش - شوم - اوكن عرش بلاد بابل في الوقت نفسه الذي تبوأ فيه أخيه الملك آشور بانبيال عرش بلاد آشور، وذلك في العام (٦٦٨ ق.م.)، ومع أن شمش - شوم - اوكن كان ملكاً على بلاد بابل بأكملها من الناحية الرسمية فإن سلطته الفعلية لم تكن تتعدى مدينة بابل، وحتى في هذه المدينة فإن نفوذ آشور بانبيال كان واضحاً، وعلى الرغم من أن آشور بانبيال كان مسيطراً على أمور بلاد بابل فإن علاقته مع أخيه بقيت هادئة لما لا يقل عن ستة عشر عاماً، ثم أعلن شمش - شوم - اوكن الثورة وتحالفت معه مملكة عيلام والقبائل الجبلية الشرقية فضلاً عن منطقة امورو في سوريا ومصر وبعض القبائل العربية^(١).

وتمكن الملك آشور بانبيال في العام (٦٥١ ق.م.)، وبعد سنة واحدة من ثورة شمش - شوم - اوكن، من فصل بابل عن العالم الخارجي ثم فرض الحصار عليها صيف عام (٦٥٠ ق.م.)^(٢)، وتمكن الملك آشور بانبيال من دخول بابل في العام (٦٤٨ ق.م.)، على رأس حملة عسكرية جهّزها فسحق جيش التمرد وجيش المتحالفين مع شمش - شوم - اوكن، إذ يذكر الملك آشور بانبيال أنه منعهم من الهرب في سبار وبابل وبورسبا وكوثا، وسحقوا سحقاً تاماً^(٣).

وبعدما تمكن الملك آشور بانبيال من القضاء على الثورة التي دامت قرابة أربعة أعوام، انتحر أخوه الملك شمش - شوم - اوكن في قصره في مدينة بابل، ويرجح أن الملك آشور بانبيال قد نصب نفسه على عرش بابل وقرر حكمها مباشرة أو أنه عين أحد الحكام المحليين المدعو قنلانو لحكمها نيابة عنه^(٤).

(١) فرحان، وليد محمد صالح، "العلاقات السياسية للدولة...، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) فرحان، وليد محمد صالح، "العلاقات السياسية للدولة...، ص ١٠٩.

(3) Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and, ARAB, Vol. II, p. 302.

(٤) باقر، طه، المقدمة...، ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

الاستنتاجات

- توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات بعد ان استعرضنا في دراستنا موضوع (الثورة في بلاد الرافدين) من أهمها:
- التفاف سكان بلاد الرافدين حول قياداتهم وتكاتف جهودهم من أجل الحرية والاستقلال كان إحدى وسائل نجاح حركات القضاء على التمردات والثورات آنذاك.
 - على الرغم من طول مدة بعض الاحتلالات التي تعرضت لها مدن بلاد الرافدين، كالاحتلال الكوتي والأخميني مثلاً، واندماج المحتلين مع سكان البلاد واقتباسهم للكثير من المظاهر الحضارية، بقيت النظرة السائدة لدى سكان بلاد الرافدين بوجوب تحرير البلاد من المحتلين، فظهرت عندهم ثورات شعبية وطهروا بلادهم من دنس الأعداء.
 - مناشدة ملوك بلاد الرافدين للآلهة لاسيما آلهة الحرب عند الشروع بالقيام بثورات ضد المحتل أو تعرضهم لخطر ما عن طريق تقديم القرابين والاستخارة وطلب العون.
 - تعسف المحتلين في معاملة سكان البلاد في المناطق المحتلة والشروع بالتهب والسلب وتدنيس المعابد وسرقة تماثيل الآلهة وتدمير أسوار المدن والأماكن المقدسة وفرض الضرائب على السكان دفع بهم بالقيام بثورات شعبية لتحرير البلاد من الاحتلال الأجنبي.
 - محاولة ملوك بلاد الرافدين توحيد الممالك والدويلات القائمة في مملكة واحدة وضمن سيادة موحدة مكنت الدولة من الوقوف بوجه التحديات والتهديدات الخارجية مما كان لها أثرها على تحرير البلاد من المحتلين والقضاء على الثورات الانفصالية في الأقاليم التابعة للدولة المركزية.
 - استمرار حكام وملوك البلدان المجاورة ومنهم الأورارتو والعيلايون في التمردات والقيام بتشجيع الثورات على الحكم المركزي وفي تحريض المتمردين على السلطة المركزية عن طريق تغذية حركات التمرد بالمال والسلاح والرجال وفتح الحدود أمام الفارين منهم، الذي ظل يقارع الآشوريين مدة طويلة ودأب على إثارة القلاقل والاضطرابات بمساعدة وتحريض ملوك بلاد عيلام.
 - اتسمت الحملات التي قادها ملوك بلاد الرافدين على الأقاليم المختلفة، بأنها حملات دفاعية ووقائية واستهدفت جانبين هما تأمين طرق القوافل التجارية والمحافظة على تلك الأقاليم الخاضعة من خطر المتمردين الذين كانوا يتحينون الفرص للانتقاض على السلطة المركزية واحتلال مدن ومراكز الحضارة.
 - تعامل ملوك وسكان بلاد الرافدين مع جميع هذه الثورات باستراتيجية مناسبة دلت على حرص ووعي ملوك وسكان هذه البلاد وحبهم لوطنهم.

- نلاحظ من خلال قراءة الثورات الوطنية التي قادها سكان بلاد الرافدين ضد الاحتلال الأجنبي أن سكان هذا البلد ومنذ القدم لم يقبلوا بالرضوخ للاحتلال الأجنبي، وقاوموا المحتل حتى نالوا الحرية، وهذا ما نلاحظه في التأريخ المعاصر لبلاد الرافدين، وخير مثال على مقارعة المحتل من التأريخ الحديث هي ثورة العشرين.
- في ختام هذا البحث يمكن القول أن الثورات التي حدثت في بلاد الرافدين كانت متنوعة منها: الثورات الداخلية من سكان بلاد الرافدين ضد ملوكهم، ومنها ثورات سكان بلاد الرافدين ضد المحتلين لبلدهم، ومنها أخيراً الثورات والتمردات من سكان البلدان الأجنبية التي خضعت لسلطة ملوك بلاد الرافدين ضد هؤلاء الملوك.

ثبت المصادر

أولاً: المصادر العربية

- ❖ الأحمّد، سامي سعيد، "الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد (٩٣٣-٣٣١) ق.م." بحث ضمن كتاب الصراع العراقي - الفارسي، بغداد، ١٩٨٣.
- ❖ الأحمّد، سامي سعيد، "فترة الحكم الكاشي، سومر، مج ٣٩، ج ١-٢، بغداد، ١٩٨٣.
- ❖ باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١.
- ❖ تهاى، مروّة، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتى مصر وليبيا ٢٠١١ دراسة انثروبولوجية ميدانية مقارنة، جامعة القاهرة، ٢٠١٣.
- ❖ حدثت هذه الثورة في عهد الملك سمسو ايلونا (١٧٤٩-١٧١٠ ق.م) بقيادة ريم - سين وهو غير ريم - سين ملك لارسه الذي قضى عليه الملك حمورابي، ينظر: رو، جورج، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان، بغداد، ١٩٨٤.
- ❖ رشيد، فوزي، اوركاجينا، بغداد، ١٩٩٧.
- ❖ رو، جورج، العراق القديم.
- ❖ ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩.
- ❖ ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، ١٩٩٩.
- ❖ سعيد، مؤيد، "العراق خلال عصور الاحتلال"، بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣.
- ❖ سلالة القطر البحري هي سلالة بابل الثانية (١٧٤٠-١٥٠٠ ق.م) .
- ❖ سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م، دمشق، ١٩٨٥.
- ❖ سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج ١، جامعة الموصل، ١٩٩١.
- ❖ الصالحي، رافد كاظم، "حقيقة الوقائع التاريخية بين عرقي التوراة ومعالجة النصوص العراقية القديمة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ١٩٩٩.
- ❖ الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد، ١٩٨١.
- ❖ عبد الكريم، هديب حياوي، "دور حضارة العراق القديم في بلاد الشام"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٢.
- ❖ عصفور، محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، بيروت، ١٩٨١.
- ❖ علي، فاضل عبد الواحد، "أقدم حرب للتحريير عرفها العالم التاريخ"، سومر، مج ٣٠، ١٩٧٤.

- ❖ علي، فاضل عبد الواحد، "التحديات السياسية والعسكرية ابتداءً من عصر فجر السلالات السومرية حتى نهاية سلالة الثالثة ٢٥٠٠ . ٢٠٠٠ ق.م"، العراق في مواجهة التحديات، ج ١، بغداد، ١٩٨٨.
- ❖ علي، فاضل عبد الواحد، "وثيقة حرب التحرير للملك السومري اوتوحيكال ٢١٢٠- ٢١١٤ ق.م"، الجيش والسلاح، ج ١، بغداد، ١٩٨٨.
- ❖ علي، فاضل عبد الواحد، السومريون والاكديون، بغداد، ١٩٨٣.
- ❖ الفتلاوي، أحمد حبيب، "اسرحدون ٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦.
- ❖ فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة، ترجمة: ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٥٩.
- ❖ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، مج ١، بيروت، ٢٠٠٢.
- ❖ فرحان، وليد محمد صالح، "العلاقات السياسية للدولة الآشورية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦.
- ❖ القصير، احمد لفته، "الفعاليات الآشورية في آسيا الصغرى"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠١.
- ❖ مورتكات، انطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق، ١٩٦٧.
- ❖ ول، ديوارنت، قصة الحضارة، مج ١-٢، مصر، ٢٠٠١.
- ❖ يحيى، أسامة عدنان، تاريخ الشرق الأدنى القديم دراسات وأبحاث، بغداد، ٢٠١٥.

ثانياً: المصادر الأجنبية

- ❖ Cameron, G. G., "Darius and Xerxes in Babylonia", AJSL, VIII, 1941.
- ❖ Cowley, A.E., The Hittites, London, 1918.
- ❖ Gadd, C.J., "The Danasty of Agad and Gutian Invasion", CAH, Vol. I, Cha.19,
- ❖ Grayson, A. K., Assyrian and Babylonian Chronicles, New York, 1975, p. 81-82.
- ❖ Herodotus, The Histories of Herodotus, Translated Harry Carter, III, London, 1962.
- ❖ Langdon, J., Babylon Menobgies and the Semitic calendars, London, 1935.

- ❖ Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and, ARAB , Vol. II, No. 550.
- ❖ Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and, ARAB, Vol. II.
- ❖ Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and, ARAB, Vol. II.
- ❖ Lukenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, ARAB, Vol. II, New York, 1926 – 1927, p. 26-27..
- ❖ Markoe, G., Phoenicians, London, 2000.
- ❖ Nissine, M., References to Prophecy in Neo – Assyrian Sources, SAA, Vol. VII, Helsinki, 1998.
- ❖ Olmstead, A. T., History of Persian Empire, Chicago, 1948.
- ❖ Oppenheim, A. L., “Text from the Accession year of Nabonaidus to the Fall of Babylon”, ANET, Princeton, 1966.
- ❖ Parpola, S., The Murderer of Scnnacheribs Denth in Mesopotamia Copen hagen studies in AssyriaLogy, 8, Copentiagcn, 1980.
- ❖ Rogers, R. W., Cuneiform Parallels to the Old Testament, New York, 1927.
- ❖ Smith, S., The Foundation of the Assyrian Empire, CHA, Vol. 3, 1954.